

العراق والتراجع الأمريكي

أ. علي باكير :

(باحث في العلاقات الدولية)

ملخص البحث

تلعب العديد من العوامل المتنوعة التي تحيط بأي نزاع عسكري دوراً كبيراً في تحديد مصير المعركة لما «بعد الحرب»، والتي لم تأخذ الإدارة الأمريكية بأيّ منها في التخطيط لمرحلة ما بعد احتلال العراق عسكرياً بالقوة المدمرة.

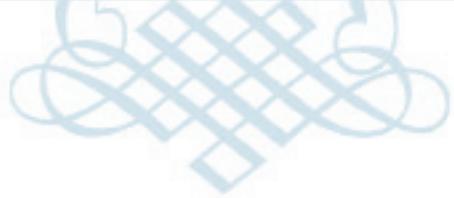
ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية أُعطيت في المجالات الثلاثة: العسكرية، والاقتصادية، والقوة الناعمة ما لم تُعط دولة أخرى على الإطلاق، فقد فشلت في العراق؛ لأنها اعتمدت على القوة وحدها، إضافة إلى غياب التصور والتخطيط الاستراتيجي الواضح لمرحلة ما بعد صدام، واتخاذ سلسلة من القرارات الخاطئة؛ كقانون اجتثاث البعث، وقانون حل الجيش العراقي، بجانب الفشل في الوصول إلى إعادة الخدمات الأساسية، وسقوط الولايات المتحدة في سجل حقوق الإنسان سقوطاً ذريعاً.

ولعبت المقاومة العراقية دوراً مهماً في إفشال المخطط الأمريكي بعدما نجحت في استغلال نقاط الضعف الأمريكية بشكل ممتاز؛ إذ لا تزال واشنطن تقاتل عدوً في العراق لا تعرف الكثير عنه، في الوقت الذي تتمتع فيه جماعات المقاومة بالثقة بالنفس، والتنظيم المركزي القوي، مع اعتمادها على الحرب النفسية، وزيادة وعيها بدور الرأي العام.

بجانب ذلك اتبعت المقاومة أساليب متطورة غير تقليدية في محاربة الأمريكيين؛ لدرجة دفعت العديد من الخبراء في وزارة الدفاع الأمريكية إلى القول: إنه «عندما تنتهي الحرب في العراق ستدرس وزارات الدفاع وحركات المقاومة في العالم تجربة المقاومة العراقية».

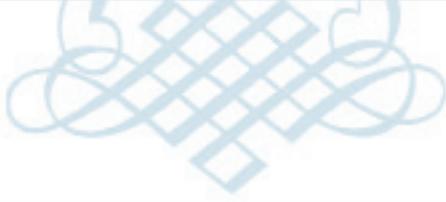
وقد ظهرت معالم الانكسار الأمريكي في العراق واضحة، مع تصاعد حدة الاستنزاف العسكري، والبشري، والاقتصادي والخسائر الفادحة التي مُنيت بها الولايات المتحدة على هذه الأصعدة.

وتزامناً مع التراجع الأمريكي الواضح في العراق وانعكاساته على العراق والمنطقة ومستقبل الهيمنة الأمريكية، تعمل الأوساط الأمريكية حالياً على دراسة واختبار أربعة سيناريوهات رئيسية، تسعى من خلالها إلى الهروب من المستنقع العراقي، وهي: تقسيم العراق عملياً، أو الانسحاب والتمركز على تخوم العراق، أو الانقلاب العسكري، أو تعديل المحاصصة الطائفية والقومية العراقية.



أفكار و مقتطفات

- على الرغم من القوة القاهرة والطاغية التي تمتلكها بعض الدول، فقد فشلت أقوى دول العالم هذه في تحقيق أهدافها في ٣٩٪ من الحروب والعمليات العسكرية التي خاضتها منذ الحرب العالمية الثانية.
- يقول «جوزيف ناي» في دراسة له بعنوان «حدود القوة الأمريكية»: «القوة في القرن الواحد والعشرين تعتمد على خليط من عناصر القوة القاسية والناعمة. وليس هناك من دولة على الإطلاق أعطيت مثلما أعطيت الولايات المتحدة الأمريكية في المجالات الثلاثة: العسكرية، والاقتصادية، والقوة الناعمة، لذلك فمن الخطأ الكبير في عالم كهذا أن نسقط في تحليل الزاوية الواحدة، ومن الخطأ أيضاً أن نؤمن أن الاستثمار في القوة العسكرية وحدها سيؤمّن لنا القوة اللازمة لتحقيق أهدافنا».
- في أحد أهم التقارير له والمنشور بعنوان «٤٠٠ يوم ومن ثمّ الانسحاب: استراتيجية الخروج من المأزق العراقي»، يعزو «مشروع البدائل الدفاعية» الوضع الأمريكي المتدهور في العراق إلى السياسات الخاطئة الأمريكية فيقول: «إنّ اندفاع الإدارة إلى إعادة اختراع العراق قاد إلى سلسلة من السياسات الخاطئة، وإلى تحبّط عملي على تغذية المقاومة وتزويد الثوّار -كملاذ أخير- بقاعدة من عدم الرضا الشعبي».
- تُظهر الحرب في العراق القدرة المحدودة لتفوق وسمو القوة العسكرية التقليدية الأمريكية عندما تكون في مواجهة مقاومة بأسلوب قتالي لـ «حرب الشوارع»... في هذا الإطار يمتلك «التمرد» في «الحرب اللامتناظرة» العديد من العوامل التي ترجّح انتصاره في أي حرب مع قوة كبرى.
- اعترف خبراء أمريكيون في تقرير لهم بأنّ الولايات المتحدة لم تجهز جيشها لمهام عسكرية-مدنية؛ بحيث تكون قادرة على التعامل مع المقاومة بأسلوب «حرب الشوارع»، أو للعب دور المحتل في أمة لها دين مغاير، ولغة أخرى، وثقافة مختلفة، أو لمزيج من الدعم البشري والأسلحة التي يحتاجونها «لحرب ما بعد الحرب».
- جماعات المقاومة العراقية منظمة تنظيمياً مركزياً قوياً، وهي ذات نظام اتصالات تقني مقنع، ولهذا لم تعد مجموعات متفرقة، متشوشة، وفوضوية، بل منظمة تنظيمياً مركزياً قوياً.
- تعلمّ المقاومون أن المخابرات الأمريكية تكون في أفضل أحوالها عندما تستطيع «توصيف الأشياء وحسابها»، ولكنها «أي الولايات المتحدة» تملك قدرات ضئيلة في قياس وتوصيف المشاة وأعضاء المقاومة والجرحي والخسائر البشرية، وهم يستغلون نقاط الضعف هذه في هجماتهم.
- أسقطت في العام ٢٠٠٧م، على الأقل ١٦ مروحية حتى أغسطس/آب، منها ثمان مروحيات أمريكية بين ٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧م و٢٣ فبراير/شباط.



- كان لجهود المقاومة تأثير على تلف وتآكل المعدات الأمريكية. وقد اعترف في العام ٢٠٠٥م مسئول أمريكي كبير في الجيش «أنه إذا انتهت الحرب الآن، وتم إعادة المعدات والآليات إلى الوطن، فإنها ستكون بحاجة إلى ١٢,٨ مليار دولار لإعادة تجهيزها وإصلاح وصيانة ما قد تم إتلافه في العراق. فمعظم المعدات العسكرية تعرّضت للتلف والتآكل؛ نتيجة الاستعمال الدائم والمستمر والقاسي، ونتيجة لهجمات «المتمردين» المستمرة».
- التقرير اليومي لعدد القتلى الذي يُصدره البنتاغون يعاني من خلل فني، فقد تقع إصابات لا يتم تسجيلها، وذلك في الفترة التي تمتد من الانتهاء من كتابة التقرير إلى حين نشره، وبالتالي لا ترد ضمن التقرير اليومي ولا يتم نشرها.
- على المقاومة العراقية في حال الانسحاب المفاجئ أو التدريجي أن تزيد من ضغطها على الأمريكيين، وأن تترك قناة أو منفذاً صغيراً للتفاوض معهم؛ كي يتم استثمار نتيجة الانسحاب لصالحهم، ولا تقوم أي جهة بسرقة هذا الاستحقاق لصالحها كإيران أو سوريا، ومن المعلوم أن ذلك لا يصح إلا إذا كان هناك خطة وأجندة سياسية لدى المقاومة العراقية تعمل على تنفيذها.
- الحكومة الوليدة تشكلت على أساس طائفي ومذهبي، وهي تعاني من أمراض سياسية كثيرة، ولا تمثل الشعب العراقي، وجزء منها موالٍ لإيران، والآخر لأمريكا، وهي ضعيفة وغير مهيمنة على الوضع العراقي، ولا يمكن الاعتماد عليها في نشر الأمن والاستقرار، وتعاني من أزمة فساد ضخمة، وتورطت في عمليات دعم ميليشيات وتعذيب.
- تحاول الإدارة الأمريكية الآن استمالة أطراف عديدة من السنّة لدفعها للاشتراك في التمثيل السياسي العراقي بشكل أكبر وأكثر فاعلية، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تحقيق نوع من الاستقرار والتوازن السياسي، وأيضاً يعمل على امتصاص نقمة السنّة وعزل المقاومة العراقية عبر مكافأة المتعاونين المشتركين في العملية السياسية، وقمع المعارضين ومحاربتهم عبر الذراع السنّي نفسه.
- انعكاسات سيناريو الانسحاب المبرمج والتدريجي على العراق غير واضح المعالم فيما يتعلق بالمستقبل السياسي للعراق، ويعتمد على رد فعل القوى المختلفة من المقاومة والقوى السياسية والشعبية والحكومة وكوادرها.

العراق والتراجع الأمريكي

أ. علي باكير: باحث في العلاقات الدولية

مقدمة:

نتناول في هذه الدراسة مدى الفشل الأمريكي في إدارة صراع ضخم استمر لسنوات، والعوامل التي تقف وراء الفشل، وانعكاسات التراجع الأمريكي نتيجة لذلك على العراق والمنطقة، ومستقبل الهيمنة الأمريكية وفق المخطط التالي: المشاكل الأسرية في المجتمع العراقي بعد الغزو الأمريكي:

دور الأخطاء الأمريكية في التراجع الحاصل:

- 1- الاعتماد الكلي على القوة بمفهومها العسكري.
- 2- غياب التخطيط والتصور الاستراتيجي الواضح.
- 3- سلسلة من القرارات الخاطئة.

دور المقاومة العراقية في إفشال المخطط الأمريكي:

- أ- استغلال الأخطاء الأمريكية.
- ب- اتباع أساليب مختلفة غير تقليدية في محاربة الأمريكيين.

معالم الانكسار الأمريكي في العراق:

- أ- الاستنزاف العسكري. ب- الاستنزاف البشري.
- ج- الاستنزاف الاقتصادي.

الفشل الأمريكي في العراق ومستقبل الهيمنة الأمريكية:

السيناريوهات المتوقعة.

انعكاساتها على مستقبل العراق والهيمنة الأمريكية في المنطقة.

أولاً: دور الأخطاء الأمريكية في التراجع الحاصل:

وتعليقاً على هذه النقطة، يقول «جوزيف ناي» في دراسة له بعنوان «حدود القوة الأمريكية»: «القوة في القرن الواحد والعشرين تعتمد على خليط من عناصر القوة القاسية والناعمة. وليس هناك من دولة على الإطلاق أعطيت مثلما أُعطيت الولايات المتحدة الأمريكية في المجالات الثلاثة: العسكرية، والاقتصادية، والقوة الناعمة، لذلك فمن الخطأ الكبير في عالم كهذا أن نسقط في تحليل الزاوية الواحدة، ومن الخطأ أيضاً أن نؤمن أنّ الاستثمار في القوة العسكرية وحدها سيؤمّن لنا القوة اللازمة لتحقيق أهدافنا».^(٤)

وقد اعترف الجنرال الأمريكي، قائد القوات المركزية الأمريكية السابق «جون أبي زيد» في محاضرة له بعنوان «الوضع الاستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط» في جامعة Carnegie Mellon بهذا الخطأ الفادح قائلاً:^(٥) «من أخطاء الولايات المتحدة

الفادحة: اعتماد الولايات المتحدة على القوى العسكرية فقط ... أودّ هنا أن أوضح أن ما نقوم به الآن هو ٨٠٪ من عمليات عسكرية، و ٢٠٪ من الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والإعلامية والاستخباراتية .. ولكن ما يجب أن يكون هو أن نجعل ٨٠٪ تلك هي الأشياء الأخرى».

ووفقاً لدراسة مهمة نُشرت في مجلة «حل النزاعات» في العدد رقم ٣ للعام ٢٠٠٧م بتاريخ

٢٠٠٧/٦/١٢م بعنوان «أهداف الحرب ونتائج الحرب: لماذا تخسر الدول القوية الحروب المحدودة»، فإن من أهم أسباب الفشل الأمريكي في العراق وتراجع فرص فوز الولايات المتحدة بالحرب فيها حالياً، ضرورة حصول الجيش الأمريكي على دعم العراقيين

أ- الاعتماد الكلي على القوة العسكرية:

من المعلوم أنّه وعلى الرغم من القوة القاهرة والطاغية التي تمتلكها بعض الدول، فقد فشلت أقوى دول العالم هذه في تحقيق أهدافها في ٣٩٪ من الحروب والعمليات العسكرية التي خاضتها منذ الحرب العالمية الثانية.^(١)

وتلعب العديد من العوامل المتنوعة التي تحيط بأي نزاع عسكري دوراً كبيراً في تحديد مصير المعركة لما «بعد الحرب»، والتي لم تأخذ الإدارة الأمريكية بأيّ منها في التخطيط لمرحلة ما بعد احتلال العراق عسكرياً بالقوة المدمرة.^(٢)

الدول القيادية ومصادر القوة^(٣): ٢٠٠٠م-١٥٠٠م

المصادر الرئيسية	الدولة	الفترة الزمنية
السيبكية الذهبية، تجارة المستعمرات، جيوش المرتزقة، روابط السلالات الحاكمة.	أسبانيا	القرن السادس عشر
التجارة، أسواق رأس المال، والقوة البحرية	هولندا	القرن السابع عشر
السكان، الصناعة الريفية، الإدارة العامة، الجيش، والثقافة، (القوة الناعمة).	فرنسا	القرن الثامن عشر
الصناعة، التماسك السياسي، المالية والرصيد، القوة البحرية، المبادئ الليبرالية (قوة ناعمة)، موقع الجزيرة (من السهل الدفاع عنها).	بريطانيا	القرن التاسع عشر
المعيار الاقتصادي، موقع القيادة العلمية، والتكنولوجية، القوات العسكرية والتحالفات، الثقافة العالمية، والأنظمة الدولية الليبرالية (قوة ناعمة).	الولايات المتحدة	القرن العشرون
القيادة التكنولوجية، المعيار الاقتصادي والعسكري، القوة الناعمة، محور الاتصالات العالمية	الولايات المتحدة	القرن الواحد والعشرون

See: Patricia L. Sullivan, "War Aims and War Outcomes: (1) Why Powerful States Lose Limited Wars", Journal of 524-Conflict Resolution, Vol. 51, No. 3, (2007), p. 496

يمكن الرجوع إلى ملخص الدراسة باللغة العربية: «هل تخدم القوة العسكرية صاحبها في الحروب؟»، علي حسين باكير، مجلة الإسلام اليوم، العدد ٢٢، يوليو ٢٠٠٧م.

Ibid (٢)

(٣) انظر دراسة ل: جوزيف ناي، «حدود القوة الأمريكية»، فصلية العلوم السياسية، أكاديمية العلوم السياسية، نيويورك، المجلد ١١٧، رقم ٤، شتاء ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م، ترجمة: علي حسين باكير، مجلة العصر، على الرابط التالي:

<http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home>

١٠٢=cat&categoryID

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) See lecture: John Abi Zaid, "Strategic Challenges in the Middle East", Carnegie Mellon University, 31

:this link

إعادة البناء الاجتماعي، تنمية البنى التحتية للبلاد... لم أسمع شيئاً عن ذلك، لم يكن هناك خطة واضحة بخصوص الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يجب أن يكون عليه..»^(٩)

وقد شدّد على هذه النقطة أيضاً «أنتوني كوردسمان»، الخبير الاستراتيجي في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية CSIS بواشنطن. ففي شهادة له أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي قام خلالها بعرض لتسعة أخطاء أساسية تم ارتكابها من قبل الإدارة الأمريكية في العراق قائلاً: «خططنا لحرب من أجل إزاحة صدام من السلطة دون أن نجهّز أي خطة ذات معنى تهدف إلى تحقيق الاستقرار وإلى بناء الدولة. لقد سمحنا لفوضى سياسية واقتصادية أن تحدث بينما كنّا نتقدّم في أعقاب سقوط صدام مباشرة»^(١٠).

ج- سلسلة من القرارات الخاطئة:

في أحد أهم التقارير له والمنشور بعنوان «٤٠٠ يوم ومن ثمّ الانسحاب: استراتيجية الخروج من المأزق العراقي»، يعزو «مشروع البدائل الدفاعية» الوضع الأمريكي المتدهور في العراق إلى السياسات الخاطئة الأمريكية فيقول: «إنّ اندفاع الإدارة إلى إعادة اختراع العراق قاد إلى سلسلة من السياسات الخاطئة وإلى تحبّط عمل على تغذية المقاومة وتزويد الثوّار -كملاذ أخير- بقاعدة من عدم الرضا الشعبي»^(١١).

See: Gen. Anthony Zinni, former CentCom commander, (٩) "The 10 mistakes", at this link [http://dir.salon.com/story/news/feature/2004_index.html](http://dir.salon.com/story/news/feature/2004_zinni//26/05/http://dir.salon.com/story/news/feature/2004_index.html)

(١٠) راجع: أنتوني كوردسمان، «نحو استراتيجية أمريكية فعالة في العراق»، شهادة أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١م، ترجمة علي حسين باكير، مجلة العصر، على الرابط التالي: <http://alasar.ws/index.cfm?method=home.con&ContentId=6602> (١١) انظر: كارل كونيتا، «استراتيجية لخروج أمريكا من المأزق العراقي: ٤٠٠ يوم ومن ثمّ الانسحاب»، مشروع البدائل الدفاعية، ترجمة: علي حسين باكير، مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، عدد ٢٢-٢٣، صيف وخريف ٢٠٠٥م، ص ١٧.

لتحقيق أهدافه التي لا يمكن إنجازها باستخدام القوة وحدها.^(٦)

واستناداً إلى الدراسة، فمن دون توافر هذه العناصر المهمة في العراق فإن فرص النجاح سوف تقل عن ٢٦٪ فيما قد ترتفع إلى نحو ٧٠٪ في حال توافر الدعم الشعبي للولايات المتحدة في العراق.^(٧)

ب- غياب التّصوّر والتّخطيط الاستراتيجي الواضح:

لقد بدأت الانتقادات لنهج وسياسة الإدارة الأمريكية في هذا الإطار مبكراً؛ إذ أشار تقرير أصدرته مؤسسة كارنيغي للسلام - بعد فترة قصيرة على احتلال بغداد - إلى وجود ضعف بنيوي شديد في التصورات الأمريكية لمرحلة ما بعد صدام، وقد أكد ملاحظات التقرير مجموعة كبيرة من الخبراء الأمريكيين؛ إذ رأى جوزيف بيدين (السيناتور الأمريكي) أن المخططات الأمريكية بُنيت في الحالة العراقية متجاهلة السيناريو الأسوأ «أو ما يطلق عليه في الفكر السياسي الأمريكي الآن The Day After»^(٨).

يقول الجنرال الأمريكي «أنتوني زيني» القائد السابق للقوات المركزيّة الأمريكية مشيراً إلى غياب التخطيط والتصور الواضح: «استمعت في شهادة أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس ومع مجموعة من لجان التخطيط في وزارة الخارجية والدفاع إلى ما قيل، وقد فهمت جيداً وكنت أعرف أننا نملك خطة جيدة من الناحية العسكرية والأمنية... لكنني لم أسمع شيئاً بخصوص وجود خطة أو تخطيط من أجل إعادة البناء السياسي، إعادة البناء الاقتصادي،

See: Patricia L. Sullivan, op.cit (٦) Ibid.(٧)

(٨) انظر: محمد أبو رمان، مراجعات أمريكية في العراق، الإسلام اليوم، ٢٠٠٤/٥/٢٩م، على الرابط التالي: http://www.islamtoday.net/albasheer/show_articles_content.cfm?id=72&catid=79&artid=3791

من مفاهيم كان الاحتلال الأمريكي وآلة الدعاية الأمريكية أحد أهم عوامل انتشارها، رغم عدم واقعيتها، وذلك لتبرير احتلال العراق، وتسهيل ذلك باسم «الشيعة».

نسبة مشاركة الشيعة في حزب البعث وأجهزة الدولة في عهد «صدام»^(١٤)

القطاع	نسبة «الشيعة»
الجهاز الحزبي	٩٠٪ من القواعد، ٧٥٪ من القيادات الوسطية، و ٥٠٪ من أعضاء القيادة القطرية
الجيش	٨٠٪ من المراتب، ٦٠٪ من الضباط
الحرس الجمهوري	٦٠٪ من المراتب، ٥٠٪ من الضباط
الحرس الخاص	٣٠٪ من المراتب، ٢٠٪ من الضباط
المخابرات	٦٠٪ من الجسم العام
الأمن العام	٧٥٪ من المراتب، ٤٠٪ من الضباط
الدوائر الحكومية	٨٠٪ من الموظفين، ٦٠٪ من المدراء العامين
القيادة العليا مجلس قيادة الثورة القيادة القطرية مجلس الوزراء	٥٥٪ من الشيعة
القائمة التي أعلنها الغزاة الأمريكيون (قائمة ال ٥٥ مطلوباً)	٣٥ شيعياً، ١٤ سنياً، ومسيحي واحد.

وبناء عليه، تمّ «تطهير» الوزارات والدوائر الحكومية من الموظفين بحجة أنهم «بعثيون»، وتم تدمير الجهاز الحكومي والإداري للدولة الذي كان يخدم المواطنين بمثل تزويدهم بالماء والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية والأمن، ما أدى إلى تدمير مقومات الدولة.

- قانون حل الجيش العراقي: وهو أول قرار للحاكم المدني الأمريكي في العراق بول بريمر بعد سقوط النظام العراقي في التاسع من أبريل (نيسان) ٢٠٠٣م، مما أدى إلى تسريح ما يقارب ٤٠٠ ألف عسكري، وجدوا أنفسهم بين ليلة وضحاها في

ولا شك أنّ هذا الكلام صحيح، فقد ساهمت سلسلة القرارات الخاطئة التي اتخذتها الإدارة الأمريكية في تراكم السلبات التي أثّرت على وضع الأمريكيين في الداخل العراقي، وأهمها:

- قانون اجتثاث البعث: وقد تمّ سنّه بضغط من مجموعة العملاء «الشيعة-الكردية» التي أتت على

ظهر الدبابة الأمريكية إلى العراق، بعد أن كانوا منتشرين في إيران وأمريكا وغيرها من البلدان. وقد تمّ استغلال هذا القانون بطريقة بشعة وبغيضة وطائفية وعنصرية وعشوائية، بعد أن تمّ توصيف النظام السابق بأنه «نظام سنّي»!!، وبالتالي استغلال هذا القانون للانتقام من السنة بحجة «البعث»، مع العلم بأنّ الجميع يعلم أنّ نظام صدام كان «علمانياً»، بل إنّ الشيعة فيه -وفق المفهوم «الطائفي»- كانوا يسيطرون على السواد الأعظم من المراكز

الحساسة والقيادية فيه، لكنّ عملاء الاحتلال الذين دخلوا معه أرادوا إعطاء النظام صبغة طائفية؛ كي يكون ذلك مسوّغاً لهم في السيطرة على العراق تحت شعار «مظلومية الشيعة»^(١٢)، و«الأكثرية العددية للشيعة» - من الأهمية مراجعة الملحق حول العدد الحقيقي للسنة مقارنة بالشيعة-^(١٣)، وإلى ما هنالك

(١٢) من الأهمية بمكان وفيما يتعلق بهذا الشأن مراجعة مقال: «هل الشيعة مضطهدون حقاً؟ وما هي مواقعهم خلال حكم صدام»، نوري المرادي، ٢٠٠٦/٢/٦م، على الرابط التالي:

<http://www.alnoha.com/read5/halalshee3ah.htm>

(١٣) من الأهمية مراجعة هذه التقارير والدراسات والإحصاءات الحيادية التي تشير إلى أكثرية سنّية عكس ما هو شائع في الإعلام، وهذه التقارير هي:

- إحصائية المنظمة الإنسانية الدولية «هيومانيتارين كوردينيوتور فور إيراق» (Humanitarian Coordinator for Iraq).

- دراسة الأكاديمي العراقي الدكتور سليمان الظفري.

- أول كتاب مخطوط عن تعداد السنة والشيعة في العراق. على الروابط التالية:

<http://www.islamonline.net/arabic/news/2004-01/28/article12.shtml>

<http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=2626>

(١٤) الأرقام الموجودة في الجدول مستقاة من مقال: هل الشيعة مضطهدون حقاً؟، مرجع سابق.

المتحدة لم تجهز جيشها لمهام عسكرية- مدنية؛ بحيث تكون قادرة على التعامل مع المقاومة بأسلوب «حرب الشوارع»، أو للعب دور المحتل في أمة لها دين مغاير، ولغة أخرى وثقافة مختلفة، أو لمزيج من الدعم البشري والأسلحة التي يحتاجونها «لحرب ما بعد الحرب»^(١٩). يضيف «كوردسمان»: «ونتيجة لذلك، فقد أجبرنا قواتنا المسلحة على التأقلم ببطء وتحت الضغط في وجه عدو تتزايد قوته»^(٢٠).

وقد خلص تقرير لمجموعة الأزمات الدولية، والذي يتحدث عن مزايا المقاومة العراقية، ويحمل الرقم «٥٠» تحت قسم الشرق الأوسط، إلى النقاط التالية:^(٢١)

- ١- واشنطن لا تزال تقاتل عدوًّا في العراق لا تعرف الكثير عنه: ولا تزال واشنطن تعيد تكرار تقديراتها عن قوة وقدرة المقاتلين أو المقاومة، مستخدمة الرموز العامة، مثل وصف المقاتلين بالصداميين، الإسلاميين الفاشيين، وهي الأوصاف التي تؤكد المجموعة أنه لا أساس لها من الصحة، ولا تشير إلي واقع المقاتلين وجماعاتهم.
- ٢- هناك نوع من الثقة بالنفس يدور داخل هذه الجماعات، وهو الحس الواثق بالانتصار، وهزيمة أمريكا على أرض العراق: وهذا الموقف لم يكن موجوداً في البداية عندما أعلن المقاتلون جهاداً مفتوحاً على عدو جاء إلى العراق ليقبى، غير أن حرب الاستنزاف التي يخوضها المقاتلون ضد القوات الأمريكية تحققت نجاحات.

- ٣- جماعات المقاومة العراقية منظمة تنظيمياً مركزياً قوياً: وهي ذات نظام اتصالات تقني مقنع، ولهذا لم تعد مجموعات متفرقة، متشوشة، وفوضوية، بل منظمة تنظيمياً مركزياً قوياً.

- ٤- اعتماد الحرب النفسية: تقوم هذه الجماعات

الشارع^(١٥)، بالإضافة إلى تواجهم من الجيش من مختلف الصفوف.

- الفشل في التوصل إلى إعادة الخدمات الأساسية.
- سقوط الولايات المتحدة في سجل حقوق الإنسان سقوطاً ذريعاً.^(١٦)

وقد شكّلت هذه القرارات بهذا الخصوص كارثة أدت إلى فوضى وقتل، ونهب وسلب، وتدمير لم يشهد العراق مثله في التاريخ «باستثناء فترة هولاكو».

ثانياً: دور المقاومة العراقية في إفشال المخطط الأمريكي:

يقول «جيفري ريكورد» أستاذ «الاستراتيجية» في الكلية الحربية الجوية: «يتوقع الأمريكيون دائماً أن يؤمن لهم تفوقهم التقليدي عسكرياً، وسموهم في هذا المجال نصراً حاسماً، سريعاً وغير مكلف.... لكنهم سرعان ما يتفاجئون ويحبطون سياسياً عندما يواجهون مستتقات كفيتهام والعراق»^(١٧).

وتُظهر الحرب في العراق القدرة المحدودة لتفوق وسمو القوة العسكرية التقليدية الأمريكية عندما تكون في مواجهة مقاومة بأسلوب قتالي لـ «حرب الشوارع»... في هذا الإطار يمتلك «التمرد» في «الحرب اللامتناظرة» العديد من العوامل التي ترجّح انتصاره في أي حرب مع قوة كبرى، ومنها:

أ- استغلال الأخطاء الأمريكية:

استناداً إلى «ريكورد»: «فإن الولايات المتحدة ليست جيدة في هزيمة أعدائها الذين يقاتلون بطريقة مختلفة عنها، الذين يتحاشون مواطن القوّة عندها، ويستغلون مواطن الضعف لديها»^(١٨). وقد نجحت المقاومة العراقية بالفعل باستغلال نقاط الضعف الأمريكية بشكل ممتاز.

واعترف خبراء أمريكيون في تقرير لهم بأن الولايات

(١٩) راجع: كوردسمان، «نحو استراتيجية أمريكية فعّالة في العراق»، ترجمة علي حسين باكير، مرجع سابق.

(٢٠) نفس المرجع السابق..

(٢١) See: "In their own words: Reading the Iraqi Insurgency" (٢١) report, Crisis Group, Middle East Report N°50, 15 February 2006, at this link

http://www.crisisgroup.org/library/documents/middle_east_north_africa/iraq_iran_gulf/50_in_their_own_words_arabic.pdf

(١٥) صحيفة الشرق الأوسط، الأحد ٢٥/٤/٢٠٠٤م، العدد ٩٢٨٠.

(١٦) انظر مقال: أسباب فشل الاستراتيجية الأمريكية في العراق وانحيار المشروع الأمريكي، على الرابط التالي:

www.alarabnews.com/alshaab/2004/20-08-2004/15.htm

(١٧) See: Jeffrey Record, «The American Way of War Cultural Barriers to Successful Counterinsurgency», cato institute.

at this link 2006-9-paper no. 577. 1

www.cato.org/pubs/pas/pa577.pdf

lbid.(١٨)

والتكتيكية والاستراتيجية العالية، لدرجة دفعت العديد من الخبراء في وزارة الدفاع الأمريكية إلى القول: إنه «عندما تنتهي الحرب في العراق ستدرس وزارات الدفاع وحركات المقاومة في العالم تجربة المقاومة العراقية». وقد سبق لكوردسمان في تقارير سابقة أن أشار إلى أشياء مماثلة، كما سبق للمجموعة الدولية للأزمات أن أشارت إلى نفس الموضوع.

ومن أهم ما أورده التقرير الأمريكي حول الأسلوب القتالي للمقاومة العراقية، والذي كان السبب الرئيسي والأساسي في التراجع والإخفاق الأمريكي في العراق، ما يلي: (٢٣)

- ١- تنفيذ سلسلة متتابعة من الكمائن والعمليات.
- ٢- اعتماد تنوع تسليحي أثناء الهجوم لإحداث إرباك لدى القوات الأمريكية، ويشمل هذا استخدام الأسلحة الصغيرة مثل: الأسلحة الأوتوماتيكية، وقذائف الهاون والر.بي.جى، والمهاجمة من مواقع نائية ومتعددة، واستخدام تجهيزات موقوتة.
- ٣- إيجاد شبكات غير رسمية موزعة لأغراض القيادة والسيطرة والاتصالات وأجهزة الحاسوب بطريقة متعمدة، واستغلال نقاط الضعف في المخابرات الأمريكية، حيث تعلم المقاومون أن المخابرات الأمريكية تكون في أفضل أحوالها عندما تستطيع «توصيف الأشياء وحسابها»، ولكنّها «أي الولايات المتحدة» تملك قدرات ضئيلة في قياس وتوصيف المشاة وأعضاء المقاومة والجرحى والخسائر البشرية، وهم يستغلون نقاط الضعف هذه في هجماتهم.
- ٤- المراوغة باستخدام أنظمة الاتصال: واستغلال وظيفة بث الرسائل النصية على الهواتف الخلوية

بالإضافة للعمليات العسكرية، بإصدار البيانات الإعلامية، وترد على الأوضاع السياسية، وتبدو المقاومة تابعة لجهاز مركزي قوي.

٥- حدوث نقلة أو تحول تجاه الممارسات الموحدة

ذهب العديد من الخبراء في وزارة الدفاع الأمريكية إلى القول: إنه «عندما تنتهي الحرب في العراق ستدرس وزارات الدفاع وحركات المقاومة في العالم تجربة المقاومة العراقية».

والخطاب الواحد الذي يدور في سياق الهوية السنية والمذهب السني.

٦- الجماعات المقاتلة واعية لدور الرأي العام: ولهذا تهتم كثيراً بصورتها لدى هذا الرأي؛ ولأنهم واعون بخطر الردود السلبية من الرأي العام؛ فإنهم في أدبياتهم يقومون دائماً برفض اتهامات

حول العنف الأعمى، ويرفضون الاتهامات التي تُساق بأنهم يسعون لإشعال حرب طائفية، ويؤكدون -خلافاً لهذا- على صورتهم الساعية لحماية المدنيين، بل يحاولون أن يردوا على ذلك بأن الأمريكيين متوحشون؛ لأنهم يتعاونون مع ميليشيات طائفية لشن حرب قذرة، وانتهاكات السجون العراقية، ومحاولة الأمريكيين تعزيز الانقسام داخل المجتمع العراقي.

ب- اتباع أساليب مختلفة غير تقليدية في محاربة الأمريكيين:

يقول جيفري وايت، وهو محلل سابق في وكالة استخبارات الدفاع في مركز واشنطن لسياسة الشرق الأدنى: «نستطيع فقط أن نسيطر على الأرض التي نقف عليها وعندما نغادر تسقط». (٢٢)

وفي اتباع الأساليب غير التقليدية، يعدّ التقرير الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن بعنوان «التمرد العراقي المتطور»، من أفضل ما كُتب حول الأساليب المتطورة التي تتبناها المقاومة العراقية، وقدراتها التقنية والاستخباراتية

- See: Anthony H. Cordesman, The Developing Iraqi Insurgency, Center for Strategic and International Studies CSIS, 22-12-2004, at this link: http://www.csis.org/media/csis/pubs/iraq_deviraqinsurgency.pdf

(٢٢) تقرير: المقاومة العراقية.. بأرقام أمريكية، جريدة السبيل الأردنية، ٢٠٠٥/٢/١م.

ثالثاً: معالم الانكسار الأمريكي في العراق:

أ- الاستنزاف العسكري:

على الرغم من صعوبة الحصول على معلومات في هذا الشأن حول عدد الآليات والدبابات، والطائرات القتالية والمروحيات، والمدربات والعربات التي تم تدميرها أو إعطابها، في ظل التعتيم الرسمي الكامل، والذي لا يوفر حتى أرقاماً رسمية لهذا الموضوع، كما يُفعل بالنسبة للقتلى من الجنود، إلا أننا استطعنا الحصول على بعض الأرقام التقريبية التي أوردها «مركز التقدم الأمريكي» في تقريره «معدّات الجيش بعد العراق» الصادر في بداية العام ٢٠٠٦م، والتي تزيد عن ألف قطعة، وهي على الشكل التالي حتى شباط العام ٢٠٠٦م: (٢٦)

٢٠ دبابة طراز Abrams M١ .

٥٠ آلية قتالية طراز Bradley.

٢٠ آلية قتالية طراز Stryker wheeled.

٢٠ مدرّعة حاملة جنود طراز M١١٣.

٢٥٠ عربة طراز Humvees.

أكثر من ٥٠٠ عربة بين كاسحة ألغام، وآليات ثقيلة ومتوسطة وقاطرات.

أمّا بخصوص الطائرات فوفقاً للإحصاءات المتوفرة فهي على الشكل التالي: (٢٧)

على الأقل ١٠٨ طائرات هليكوبتر من أنواع متعددة (Apache، Blackhawk، Kiowa Warrior، big Chinook cargo helicopters)

على الأقل ١٨ طائرة ذات جناح ثابت من أنواع متعددة؛

ونشر أيضاً بعنوان «القناصون العراقيون يكتسبون مهارات عالية»، وليام ويليت، بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠٠٦م على الرابط التالي:
http://www.boston.com/news/world/middleeast/articles/2006/12/23/iraqi_insurgent_snipers_gaining_skill
 -See Report: Loren B. Thompson and others, Army Equipment After Iraq, Center for American Progress, 2006, p:10. at this link: http://www.americanprogress.org/kf/EQUIPMENT_SHORTAGE.PDF
 (٢٧) انظر موسوعة ويكيبيديا، الكلفة المالية لحرب العراق، وأيضاً: تحطم طائرات قوات التحالف في العراق على الروابط التالية:
http://en.wikipedia.org/wiki/Financial_cost_of_the_2003_Iraq_Conflict#_note-lexington_773
http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Coalition_aircraft_crashes_in_Iraq

للاتصال في محاولة تجنب التصنت الإلكتروني من الجانب الأمريكي، إضافة إلى استخدام أكثر من جهاز واحد لتوصيل الرسالة؛ كي لا يلتقط الذين يتصنتون إلا جزءاً من الرسالة فيما لو كانوا يتصنتون.

٥- استغلال بطء رد الفعل العراقي والأمريكي على الصعيد التكتيكي: وأنماطهم التكتيكية والأمنية والحركية الثابتة، وتوزيع الهجمات بالشكل الذي يُنهك إمكانات المخابرات والاستطلاع والتعقب الأمريكية.

٦- استخدام المرونة في أسلوب الكر والفر مع مفاجأة العدو أحياناً عبر خيار الصمود البطولي: استخدام الانبعاث والتسلل من جديد، والتمركز والاختباء والعودة للظهور، والتفرق تحت الضغط، أو حين تبدو الهزيمة مرجحة، وأتباع قاعدة «دع الأمريكيين يأخذون مدينة فارغة أو هدفاً فارغاً، ثم عدّ إلى الظهور حينما يتراجع الوجود التكتيكي الأمريكي».

ولكنهم أحياناً يختارون الصمود البطولي إذا كان ذلك سيؤدي إلى خسائر فادحة في وجه العدو، كما حصل في الفلوجة والموصل وسامراء.

٧- حسن اختيار الأهداف التي تترك أثراً سياسياً وإعلامياً: فقد تعلموا القدر الكثير عن كيفية استخدام أسلحتهم، وصنع تجهيزات متفجرة سريعة أكثر تطوراً، وعن التخطيط للهجمات والكماثن، وتحسين أمنهم، وتحديد مواقع وأهداف هجماتهم، وبالتحديد الأهداف التي تترك أثراً سياسياً وإعلامياً.

٨- استخدام المتفجرات «المتطورة» غير العادية. (٢٤)

٩- استخدام القنص الاحترافي. (٢٥)

(٢٤) للاطلاع على معلومات حول المتفجرات المزروعة إلى جانب الطريق، ومدى تأثيرها على الجنود الأمريكيين يمكنك مراجعة:
 - تقرير خدمة أبحاث الكونجرس «سي آر إس» بتاريخ ٢٣/١١/٢٠٠٥م على الرابط التالي:
fpc.state.gov/documents/organization/57512.pdf
 - تقرير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، بعنوان: «النجاح أم الفشل؟ التمرد العراقي والعنف المدني والاستراتيجية الأمريكية» وفيه بند خاص بالموضوع تحت الفصل الثامن، بتاريخ ٧/٧/٢٠٠٧م على الرابط التالي:
www.csis.org/media/csis/pubs/070709_iraqinsurgupdate.pdf
 (٢٥) انظر تقرير: «القناصون الماهرون في التمرد العراقي ينهكون جنودنا»،

وبالإضافة إلى الخسائر المباشرة، ذكر تقرير للجيش الأمريكي في منتصف العام ٢٠٠٦م أنّ كلفة استبدال تجهيزاته المستهلكة في العراق قد تضاعفت ثلاث مرات في العام ٢٠٠٦م عما كانت عليه في العام ٢٠٠٥م. وأنّ هناك «حتى ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦م» حوالي ٥٠٠ دبابة M1، و ٧٠٠ آلية قتالية طراز Bradley، و ١٠٠٠ عربة Humvees تحتاج إلى عملية إصلاح وتنتظر دورها.

واستناداً إلى معلومات رسمية نقلتها «الواشنطن بوست» فإنه وبدءاً من ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦م صرّح الجيش الأمريكي أنّ حوالي ٤٠٪ من معدّاته الكليّة قد تمّ إرسالها إلى العراق، وأنّ الكلفة التقريبية السنوية لتجديدها تبلغ حوالي ١٧ مليار دولار، علماً بأنّ هذه الكلفة قد تضاعفت عشر مرات عمّا كانت عليه قبل الحرب.^(٣١)

وقد تجاوزت جميع المعدّات الأمريكية في العراق من دبابات وآليات قتالية ومدركات ومروحيات قتالية صلاحيتها الميدانية؛ نتيجة لاستنزافها، وهي بحاجة سريعة وماسة إلى الإصلاح والصيانة.^(٣٢)

ب- الاستنزاف البشري:

استناداً إلى الأرقام الرسميّة الأمريكية، يشكّل العام ٢٠٠٧م أكثر الأعوام دموية للجيش الأمريكي منذ اجتياحه العراق في العام ٢٠٠٣م. وتشير الإحصاءات الرسمية الصادرة عن القيادة الأمريكية في بغداد إلى أنّ ٨٢٨ جندياً أمريكياً قتلوا في العراق حتى تاريخ ١٩ تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٧م. وقد ارتفع هذا الرقم إلى ٨٥٤ قتيل حتى تاريخ ٦/١١/٢٠٠٧م، ليصل بذلك عدد قتلى الأمريكيين منذ العام ٢٠٠٣م وحتى تاريخه الرقم ٣٨٥٧ وفقاً للأرقام الرسمية^(٣٣)، بينما يصل عدد الجرحى إلى ٢٨٤٥١ جريحاً أمريكياً.^(٣٤) هذه الأرقام وعلى الرغم من أنّها مرتفعة إلا أنّها لا

تشمل طائرات استطلاع وطائرات قتالية مثل (F-14، F-15، F-16)

مع العلم أنّه أُسقطت في العام ٢٠٠٧م، على الأقل ١٦ مروحية حتى أغسطس/آب، منها ثمان مروحيات أمريكية بين ٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧م و٢٣ فبراير/شباط.^(٣٨) (iraq 's sectarian and ethnic violence، cordesman، p55)

واستناداً إلى نشرة المعلومات الاستخباراتية «تقرير تكتيكي» بتاريخ ٢/٧/٢٠٠٧م، فإنّ الجيش الأمريكي قد خسّر منذ بداية العام ٢٠٠٧م حتى تاريخه:^(٣٩)

طائرة مقاتلة طراز (F-16).

٩ طائرات هليكوبتر.

٥٠ عربة طراز Humvees، HAMER.

١٥ آلية قتالية طراز Stryker.

٤٠ مدرّعة حاملة جنود طراز M113.

حوالي ١٠٠ عربة من أنواع مختلفة.

تدمير ١٠ دبابات طراز M1 Abrams وإعطاب ١٠ آخرين.

تدمير 30 دبابة طراز T-62 وT-54/55s للجيش العراقي.

كما كان لجهود المقاومة تأثير على تلف وتآكل المعدّات الأمريكية. وقد اعترف في العام ٢٠٠٥م مسؤول أمريكي كبير في الجيش «أنّه إذا انتهت الحرب الآن، وتمّ إعادة المعدّات والآليات إلى الوطن، فإنها ستكون بحاجة إلى ١٢,٨ مليار دولار لإعادة تجهيزها وإصلاح وصيانة ما قد تمّ إتلافه في العراق. فمعظم المعدّات العسكرية تعرّضت للتلف والتآكل نتيجة الاستعمال الدائم والمستمر والقاسي ونتيجة لهجمات «المتمردين» المستمرة».^(٣٠)

^(٣١) See: wikipedia page at this link

http://en.wikipedia.org/wiki/Financial_cost_of_the_2003_Iraq_Conflict#_note-lexington_773

Loren B. Thompson and others, Army Equipment After Iraq, p: 8, op. cit.

^(٣٣) انظر: ٢٠٠٧م الأكثر دموية على الأمريكيين بالعراق، إسلام أون لاين، ٦/١١/٢٠٠٧م، على الرابط التالي:

www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1193049503575&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

^(٣٤) See: <http://icasualties.org/oif>

^(٣٨) See: Anthony H. Cordesman, Iraq 's Sectarian and Ethnic Violence, Center for Strategic and International Studies CSIS, 2-4-2007, P:55, at this link

http://www.csis.org/media/csis/pubs/070402_iraq_spring.pdf
^(٣٩) -See: "Iraq: US casualties rose, loss of equipment too", Tact Report, Monday, 02 July 2007

^(٣٠) David Isenberg, US war costs continue to shoot up, atimes, Aug 1, 2006, at this link

www.atimes.com/atimes/Front_Page/HH01Aa01.html

وبالتالي لا ترد ضمن التقرير اليومي ولا يتم نشرها.

٢- أنّ الأرقام الرسمية الأمريكية لا تشمل أيضاً الجنود الذين يموتون خلال عمليات إسعافهم، أو عند نقلهم إلى مستشفيات ألمانيا أو البلدان المجاورة، كما أنّ هذه الأرقام لا تشمل الموظّفين الأمريكيين في سلك الخارجية أو المخابرات، أو المتعاقدين الأمريكيين، أو المرتزقة الأمريكيين، أو حتى الجنود الذين يقاتلون في الجيش الأمريكي دون حصولهم على الجنسية، والذين يموتون في العراق نتيجة عمليات المقاومة العراقية.

٣- لو افترضنا أنّ الأرقام الصادرة عن الجهات الرسمية الأمريكية هي أرقام صحيحة، فهذا يعني أنّ الجيش الأمريكي لا يعاني أي مشكلات؛ لأن عدد الحسائر في صفوفه قليلة، وهي تشكّل نسبة ١,٩٪ تقريباً من حجم الجيش الأمريكي الكلي الموجود في العراق، والبالغ تعداده حالياً ١٤٤,٠٠٠ جندي. لكن هل المؤشرات الرسمية تشير حقيقة إلى عدم وجود مشاكل أم أنّ العكس هو الصحيح؟ (عزوف عن الالتحاق بالجيش، قصور في عدد القوات المطلوبة، عمليات فرار كبيرة، عمليات انتحار، قرارات منع مغادرة قسرية، قرارات تمديد الخدمة قسرياً...) (٢٧)

ويخلص التقرير إلى أن نقول: إن معدل الأرقام مجتمعة يساوي «أكثر من ٢٤,٠٠٠ قتيل أمريكي، وهو رقم منطقي ومقبول لعدد قتلى الأمريكيين في العراق، والذي يتوافق مع عدد من الحقائق والمعطيات والوثائق التي تمّ ذكرها سابقاً، وهو يشكّل نسبة حوالي ٩,٨٪ من حجم الأمريكيين الكلي الموجود في العراق. (قبل الزيادة الأخيرة في حجم القوات في العراق، والبالغة ٣٠ ألف جندي).

(٢٧) للتفاصيل والاستزادة حول عمليات العزوف والقصور، وعمليات الفرار وقرارات التمديد والانتحار يرجى مراجعة المقالات التالية:

- معالم انهيار الجيش الأمريكي في العراق، علي حسين باكير، الجزيرة، نت، ٢٠٠٦/٥/١٧، على الرابط التالي:

www.aljazeera.net/NR/exeres/742B6CFF-D643-4972-907C-BA0CB5AAE992.htm

- ٥٠٠٠ جندي أمريكي سابق ينتحرون سنوياً نتيجة التقصير والتوتر، سي إن إن العربية، ٢٠٠٧/٦/١٢، على الرابط التالي:

http://arabic.cnn.com/2007/scitech/5/13/suicide.risk/index.html

تعكس الحقيقة وفقاً للكثير من المراقبين العرب والأجانب، ووفقاً لمراكز الرصد والدراسات الغربية أو حتى المواقع الإخبارية.

وقد تناول تقرير مهم «لكاتب هذه السطور» تمّ نشره بخمس لغات عالمية (العربية- التركية- اليابانية- الفرنسية- الإنكليزية) وتداولته العديد من وسائل الإعلام العربية والأجنبية، والقناة السابعة في التلفزيون التركي، وهو بعنوان «حقيقة القتلى الأمريكيين في العراق: أكثر من عشرين ألف قتيل» (٢٥)، هذه المعضلة شارحاً بالتفاصيل والوثائق المتوفرة هذا الموضوع، ومستنداً إلى أرقام أربع جهات أساسية حتى تاريخ ٢٣/١٠/٢٠٠٦م، وهي:

- الأرقام الرسمية الأمريكية: ٢٧٩٠ قتيلاً أمريكياً.
- تقديرات المصادر الأجنبية المستقلة: أكثر من ١٥,٠٠٠ قتيل أمريكي.

- أرقام الجماعات الجهادية في العراق «خاصة الجيش الإسلامي»: أكثر من ٢٥,٠٠٠ قتيل.

- أرقام المواقع الإخبارية العربية: ٣٣,٦٩٣ قتيلاً أمريكياً.

وذلك للتوصل إلى خلاصة منطقية وواقعية حول المعدّل الحقيقي للقتلى الأمريكيين في العراق.

يشير التقرير التفصيلي المطوّل إلى أنّ هذا الفارق الكبير في الأعداد دفع بعض القراء إلى التشكيك في هذه الأرقام في إشارة إلى حجمها الكبير، مقارنة بما يتم الإعلان عنه وفق الجهات الرسمية الأمريكية. ولتفنيد ذلك قام التقرير بمناقشة الطرح بشكل موثّق وعلمي للإشارة إلى عدم صحّة الأرقام الرسمية، نسوق بعض التبريرات التي أوردتها باختصار شديد جداً، وهي: (٢٦)

١- أنّ التقرير اليومي لعدد القتلى الذي يصدره البنتاغون يعاني من خلل فني، فقد تقع إصابات لا يتم تسجيلها، وذلك في الفترة التي تمتد من الانتهاء من كتابة التقرير إلى حين نشره،

(٢٥) يمكن مشاهدة تقريرنا هذا على مدونتنا نقلاً عن الأماكن التي تمّ نشره فيها، وهو موجود تحت تصنيف «الحقيقة» في فئات التصنيف الموجودة في المدونة، على الرابط التالي:

www.maktoobblog.com/alibakeer

(٢٦) نفس المرجع السابق.

ج- الاستنزاف الاقتصادي:

كانت التوقعات الأولية فيما يتعلق بالتكلفة المالية للحرب على العراق متواضعة جداً بالنسبة للإنفاق الحاصل اليوم، إذ أشار المستشار الاقتصادي لإدارة بوش إلى أن النفقات المخصصة للحرب قد تتراوح بين ١٠٠ مليار دولار و ٢٠٠ مليار دولار، في حين اعتبر هيتش دانيل، مدير مكتب الإدارة والميزانية آنذاك أنّ الحرب ستكلف ٦٠ مليار دولار فقط!!^(٣٨)

وقد قام «جوزيف ستيجليتز» من جامعة كولومبيا، والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، بالتعاون مع البروفيسور «ليندا بيلمس»^(٣٩) من جامعة هارفرد والخبيرة بموضوعات الميزانية بوضع دراسة بعنوان: «التكاليف الاقتصادية لحرب العراق». واستناداً إلى هذه الدراسة الواقعة في ٣٦ صفحة، والمنشورة على موقع جامعة هارفرد، فإنّ التكلفة الحقيقية للحرب على العراق تتراوح بين ٧٥٠ مليار دولار و ١,٢ تريليون دولار (العام ٢٠٠٦م)، وحوالي أكثر من تريليون دولار إذا بقي الاحتلال للعام ٢٠٠٨م.^(٤٠)

وفي نفس الإطار قام مركز «التقدّم الأمريكي» بنشر تقرير في ٦ شباط ٢٠٠٧م بعنوان: «فرص ضائعة: إنفاق بوش الدفاعي في غير محله»، جاء فيه «أنّ الحرب على العراق أمست خطأً استراتيجياً بتريليون دولار دون أفق واضح لإنهاء الوضع».^(٤١) واستناداً إلى الدراسة فإنّ الإنفاق في العراق الآن يساوي ضعف التمويل المخصص للأمن القومي، والدبلوماسية، والمساعدات الدولية مجتمعة.

See: Linda Bilmes And Joseph E. Stiglitz, "THE ECONOMIC COSTS OF THE IRAQ WAR", at this link: <http://ksghome.harvard.edu/~lbilmes/paper/iraqnew.pdf>

للاطلاع على الملخص العربي للدراسة: علي حسين باكير، التكلفة المالية الحقيقية للحرب الأمريكية على العراق، مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٧٥٤، تاريخ ٢٠٠٧/٦/٢م.

(٣٩) «علماً بأنّ الدكتورة «بيلمس» قد نشرت دراسة مهمة في يناير من العام ٢٠٠٧م حول «التكلفة الصحية الطويلة الأمد للجنود الأمريكيين العائدين من الحرب في العراق وأفغانستان» وتقع في ٢١ صفحة، وهي من منشورات جامعة هارفرد.

(٤٠) نفس المرجع السابق.

See: P.J. Crowley, Lost Opportunities: Bush Defense Spending is Misplaced, Center Of American Progress, February 6, 2007, at this link: www.americanprogress.org/issues/2007/02/pdf/defense_report.pdf

للاطلاع على ملخص الدراسة يمكن مراجعة: علي حسين باكير، «فرص ضائعة: إنفاق بوش الدفاعي في غير محله»، صحيفة الأمان، لبنان، تاريخ ٢٠٠٧/٢/٢م.

رابعاً: الفشل الأمريكي في العراق ومستقبل الهيمنة الأمريكية: أ- السيناريوهات المتوقعة:

ومن بين الخيارات التي تعمل الأوساط الأمريكية على دراستها واختبارها، أربعة سيناريوهات رئيسية، تحاول تطبيقها بشكل انفرادي أو جماعي آملّة أن يؤدي ذلك في النهاية إلى خلاصها من المستقبل العراقي. وهذه السيناريوهات هي:

١- سيناريو تقسيم العراق عملياً:

يعدّ هذا الإجراء أحد السيناريوهات الذي من الممكن أن تلجأ إليه الولايات المتحدة لإنهاء أزمته العراقية. ويشكّل قرار الكونجرس الأمريكي الذي صدر مؤخراً، والذي تبنى مشروع المرشح الرئاسي الديمقراطي السناتور «بايدن» الداعي إلى تقسيم العراق إلى ثلاث فيدراليات «كردية، وشمسية، وشيعية»، -وذلك بموافقة المجلس عليه بأغلبية الثلثين ٧٥ صوتاً، مقابل ٢٥ صوتاً معارضاً- الأساس العملي لتطبيق هذا الخيار رسمياً. ويمثّل الديمقراطيون في الولايات المتحدة عماد هذا الخيار؛ لأنّ تقسيم العراق يعدّ الحلّ الأسهل والأنسب لهم، خاصّة إذا ما كان الرئيس الأمريكي المقبل من الديمقراطيين، وبذلك يكون قد تخلّص من عبء كبير كان عليه أن يواجهه فيما لو بقيت الأوضاع على حالها من استنزاف للجيش الأمريكي وللإقتصاد الأمريكي وللهيئة الأمريكية. يؤيد هذه الخطّة كل من السناتور الديمقراطي «جوزيف بايدن»، «ليزلي جيلب»، والأكراد والشيعية خاصة جماعة الحكيم وإيران».^(٤٢)

بالإضافة إلى أمريكا وإسرائيل، فإنّ إيران ستكون من أكبر المستفيدين من مسألة التقسيم. وقد يستغرب البعض هذا القول على اعتبار أنّ إيران ستكون مهذّدة بتقسيم مماثل. لكن إذا ما أمعنا النظر في المعطيات، فسنرى أنّ عراقاً عربياً وقومياً وعدوّاً تاريخياً لإيران

See: The List: Options for Iraq, Foreign Policy Magazine, (٤٢) Dec. 2006

الترجمة العربية للتقرير: الخيارات الأمريكية الجديدة في العراق لعام ٢٠٠٧، ترجمة علي حسين باكير:

- صحيفة السياسة الكويتية: ٢٥/١٢/٢٠٠٦م، أو

- الإسلام اليوم ١/٧/٢٠٠٧م: على الرابط التالي:

http://islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=72&catid=80&artid=8485

عنها خلف الكواليس. لقد كانت الخطة الأمريكية تقتضي التأسيس لحكومة موالية لها بعد الإطاحة بنظام صدام حسين، تعمل على نشر الأمن والاستقرار، وبالتالي تكون حليفاً للولايات المتحدة، وتسوّق لإنجازاتها في العراق، ويمكن الاعتماد عليها في بقاء القوات الأمريكية أو جزء كبير منها على الأقل.

الذي حصل أنّ الحكومة الوليدة تشكّلت على أساس طائفي ومذهبي، وهي تعاني من أمراض سياسية كثيرة، ولا تمثل الشعب العراقي، وجزء منها موالٍ لإيران، والآخر لأمريكا، وهي ضعيفة وغير مسيطرة على الوضع العراقي، ولا يمكن الاعتماد عليها في نشر الأمن والاستقرار، وتعاني من أزمة فساد ضخمة، وتورطت في عمليات دعم ميليشيات وتعذيب. وعليه فبعض المسؤولين في الإدارة الأمريكية قد يرى في حصول انقلاب يأتي برئيس وحكومة قوية، ويفرض الأمن والاستقرار بالقوة، خلاصاً لأمريكا من هذا المستقع وخياراً محتملاً وغير مكلف، قياساً بالخسائر الاقتصادية والعسكرية التي تعاني منها أمريكا في العراق، وإن كان يقوِّض من مصداقية الولايات المتحدة في ترويجها للديمقراطية.

وفي حال وقوع مثل هذا السيناريو سيعتمد مستقبل أمريكا في العراق والمنطقة على نوع وتوجّهات الرئيس القادم بانقلاب عسكري. فإن كان الانقلاب نابغاً من دافع أمريكي، فإنّ شرعيته ستكون منقوصة، وسيُنظر إليه على أنّه «عميل» على غرار من قامت أمريكا بتتصبيهم في أفغانستان والعراق بعد الاحتلال.

أما إذا كان الرئيس ذا توجّه وطني وقومي، فمن المرجح أن يضرّ ذلك النفوذ الأمريكي في العراق تحديداً، وفي المنطقة عموماً على المدى المتوسط والبعيد. فهو لن يرضى بالتواجد العسكري الأمريكي أو النفوذ الإيراني، وهو ما سيُكسبه شرعية مقبولة في الشارع العراقي ومصداقية عالية. وهذا هو أفضل سيناريو ممكن للعراق والمنطقة.

٤- سيناريو تعديل المحاصصة الطائفية والقومية العراقية:

تحاول الإدارة الأمريكية الآن استمالة أطراف عديدة من السُّنة لدفعها للاشتراك في التمثيل السياسي العراقي بشكل أكبر وأكثر فعالية، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تحقيق نوع من الاستقرار والتوازن

سيزول من الخريطة، وهذا بحد ذاته مكسب استراتيجي وتاريخي لإيران. كما أنّ نشوء دولة شيعية سيكون ممهداً لضمّها إلى الرقعة الجيوسياسية والاستراتيجية الإيرانية الممتدة في المنطقة، وسيجعلها للمرة الأولى منذ زوال الإمبراطورية الفارسية أقرب إلى تحقيق حلمها التاريخي بابتلاع الخليج العربي.

٢- سيناريو الانسحاب والتمركز على تخوم العراق:

ويعدّ وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس أحد المنظرين في هذا المجال إلى جانب عدد لا بأس به من جنرالات الجيش الأمريكي^(٤٣)، وتقوم الفكرة على الإعداد لمرحلة جديدة تتطلب الانسحاب من العراق، نتيجة لضربات المقاومة العراقية التي استنزفت الجيش الأمريكي لأقصى درجة، والتمركز بعد الخروج على حدود الخليج بقوة هائلة تتيح للولايات المتحدة استرجاع قدرتها الردعية التي فقدتها عندما غرقت في وحل العراق، نتيجة للقدرات التي أبدتها المقاومة العراقية، وبالتالي استرجاع قوّة التأثير والردع من خلال التهديد بالقوة، وليس من خلال استعمالها، وهو ما سيساعد الولايات المتحدة على التفرّغ لموضوعات وملفات مهمة كالملف النووي الإيراني.

ووفقاً للمفهوم الأمريكي في هذا الطرح، فالعراق مهم جداً وهش أيضاً، ولذلك فليس من المفروض أن تتم مغادرته على عجلة. فعبّر زيادة عدد القوات لفترة قصيرة، ونقل مهمة عدد كبير من الأولوية المخصصة للقتال للقيام بمهمة تدريب القوات العراقية وبمهام استشارية تستطيع الولايات المتحدة تثبيت الوضع بما فيه الكفاية؛ لتفادي كارثة كبيرة في العراق. كما أن الالتزام ببقاء أطول، ولكن بمهمة أصغر سيدعم الحكومة العراقية المهزوزة.

وعلى المقاومة العراقية في حال الانسحاب المفاجئ أو التدريجي أن تزيد من ضغطها على الأمريكيين وأن تترك قناة أو منفذاً صغيراً للتفاوض معهم؛ كي يتم استثمار نتيجة الانسحاب لصالحهم، ولا تقوم أي جهة بسرقة هذا الاستحقاق لصالحها كإيران أو سوريا، ومن المعلوم أن ذلك لا يصح إلا إذا كان هناك خطة وأجندة سياسية لدى المقاومة العراقية تعمل على تنفيذها.

٣- سيناريو الانقلاب العسكري:

ويعدّ هذا الخيار أحد أهم الخيارات التي يتم الحديث

المنطقة التي تشكل خليطاً من هذا النسيج، خاصة في الحزام الفاصل في المناطق الثلاث المقسمة.

- اختفاء عراق قومي وعربي.

على المنطقة:

- إيران أقوى نتيجة انهيار السد العربي الوحيد باتجاه نفوذها إقليمياً، وإمكانية احتضان أو ضم المنطقة الشيعية المستقلة الجديدة.

- دور تركي إقليمي أكبر قد يظهر في تجليات رفض الدولة الكردية الجديدة المستقلة والقيام بغزوها لمنع الاستقلال.

- امتداد شرارات التقسيم إلى الجوار العربي مع ضعف شديد في قدرة الأنظمة الحاكمة على ضبط مجتمعاتها أو التأثير على مجريات الأحداث في المنطقة.

على وضع أمريكا في المنطقة:

- سيطرة أكبر على مجريات الوضع العراقي والإقليمي، واسترجاع قدرة أمريكا على الصعيد العالمي من خلال التمركز في الدول الثلاث الجديدة، التي ستطلب العون وبقاء الأمريكيين لتدعيم الاستقلال الناشئ.

- سهولة أكبر في محاصرة المقاومة العراقية تمهيداً للقضاء عليها، والانتقال لتوسيع دائرة محاربة ما يسمى «الإرهاب» في دول أخرى.

- إحكام السيطرة على النفط من خلال نظام المحاصصة والمشاركة تحت الإشراف الأمريكي المباشر.

- إمكانية اندلاع حرب إقليمية مع تركيا التي ستكون الأقدر على رفض التقسيم، والتعبير عن ذلك من خلال احتلالها لكردستان العراق.

٢- انعكاسات سيناريو الانسحاب الفوري من العراق:

على العراق:

- هروب قادة الميليشيات والعملاء الذين دخلوا مع الدبابة الأمريكية إلى خارج العراق.

- تشطّي البلاد إلى وحدات مناطقية في حالة التوازن العسكري بين المقاومة والميليشيات.

- وقوع العراق تحت السيطرة الإيرانية المباشرة، عبر ملء الفراغ الذي سيتركه الانسحاب الأمريكي، أو

السياسي، وأيضاً يعمل على امتصاص نقمة السُنّة وعزل المقاومة العراقية عبر مكافأة المتعاونين المشتركين في العملية السياسية، وقمع المعارضين ومحاربتهم عبر الذراع السنّي نفسه. وقد بدأت الولايات المتحدة أيضاً - وفي نفس الإطار - في التخفيف من القيود على البعثيين ممن تعتبرهم معتدلين؛ وذلك لتحقيق هدفها.

ووفقاً لما نقلته مجلة «فورين بوليسي» الأمريكية الشهيرة في تقرير نُشر في عددها الصادر في كانون الأول ٢٠٠٦م بعنوان: «اللائحة: خيارات للعراق»، فإنّ رئيس الوزراء العراقي السابق إياد علاوي، والسفير الأمريكي زلمي خليل زاد، بالإضافة إلى عدد من دول الجوار السنّي للعراق توافق على هذه الخطة وهذا الطرح.

إذ إنّ المفهوم الأمريكي لهذا السيناريو يقوم على أساس أنّ البعثيين وشيوخ القبائل المنخرطين منهم بما تسميه «التمرد» يُعدّون من البراغماتيين، وليسوا من الأيديولوجيين. ولذلك، فهي تستطيع - من الناحية النظرية على الأقل - شق وشرخ المقاومة عبر إيجاد فجوة بين السنّة والقاعدة، وبين الموافقين على الاشتراك في العملية السياسية والرافضين لذلك، ويتم هذا عبر: منحهم العفو لمن تراه أهلاً لذلك من فئة البعثيين وشيوخ القبائل وأتباعهم.

التراجع عن سياسة اجتثاث البعث.

تقديم حصّة عادلة من العائدات النفطية لهم.

ولأن الولايات المتحدة قامت بتحقيق طموح إيران في العراق من خلال تفكيك الجيش العراقي، ومن خلال دعم وتقوية الشيعة في الانتخابات، فهي تعتقد أنّ الميل إلى السنّة في هذا السيناريو قد يُطمئن العالم العربي الذي يضم ٨٥٪ من السنّة، بالإضافة إلى إمكانية استغلال القبائل والعشائر في موضوع مقاومة النفوذ الإيراني في العراق.^(٤٤)

ب- انعكاساتها على مستقبل العراق والهيمنة الأمريكية في المنطقة:

١- انعكاسات سيناريو تقسيم العراق:

على العراق:

- حصول حملات تطهير عرقي وقومي وطائفي في

- بروز لافت للمقاومة من الناحية العسكرية والسياسية في حال أحسنت استثمار التراجع والانسحاب الأمريكي، وقدمت برنامجاً ومشروعاً سياسياً؛ منعاً لاستغلال إيران أو غيرها من الدول لهذا الحدث لحسابها.

- دخول المقاومة في مواجهة مع الميليشيات الشيعية وقوات الجيش في حال إنكار إنجازات المقاومة وتجاهلها؛ وذلك كلما زاد الانسحاب الأمريكي، أو ابتعدت القوات الأمريكية عن موقع المواجهة.

على المنطقة:

- بروز دور أكبر لكل من إيران وتركيا في العراق، مقابل انكفاء الدور العربي إلى أقصى درجة ممكنة؛ نتيجة لاستيائهم من طريقة إدارة البلاد الطائفية من جهة، ونتيجة عدم وجود اتصالات مع الجهة المناوئة للحكومة «أي المقاومة»، مما يعني الخروج بخفي حنين.

- مخاوف وتوترات إقليمية من قدرة أمريكا على شن هجوم عسكري على إيران بعد تحررها من المستنقع العراقي، وتحصنها في إطار الجوار الجغرافي لإيران.

على وضع أمريكا في المنطقة:

- استعادة قدراتها الردعية بعد الخروج من المستنقع العراقي، ومحاولة الاستفادة من ذلك في الضغط على إيران لتحجيم وضعها الإقليمي، أو على الأقل لحصره في حدود الممكن.

- محاولة اعتماد استراتيجية جديدة لمحاربة ما يسمى «الإرهاب» بعد استقاء الدروس والعبر من التجربة العراقية.

- نقل بعض القوات إلى أفغانستان لمحاولة تثبيت الوضع هناك؛ لمنع سقوط أفغانستان في أيدي المقاومة الأفغانية أيضاً، ولكي لا يشكل ذلك هزيمة دراماتيكية في آن.

- قدرة أكبر على التأثير في الملفات الإقليمية والدولية من الناحية السياسية.

غير المباشرة كونها اللاعب الأقدر والأكثر وجوداً في العراق حالياً عبر ميليشياتها، أو أدواتها العراقية. على المنطقة:

- احتمال تدخل قوي من السعودية ومصر وتركيا لمنع الاستفراد الإيراني بالعراق، خوفاً من أن يتم الإطاحة بالتوازن الإقليمي الذي يحقق الاستقرار في الشرق الأوسط، وخوفاً من أن يخلق الابتلاع الإيراني للعراق وضعاً جيوسياسياً وجيوستراتيجياً يعمل على تقزيم هذه الدول، وانبثاق إيران كقوة إقليمية لا منازع لها على الإطلاق.

- ضعف الثقة بالدور الأمريكي من الآن وصاعداً على الصعيد الإقليمي، وتدهور العلاقة بين هذه الدول وأمريكا.

- إعادة إحياء دور القوى المناهضة لأمريكا بكافة أشكالها «المتعصبة، العقلانية، الجهادية، اليسارية، ، ، إلخ»؛ لكونها ترى بالانسحاب الأمريكي السريع هزيمة تاريخية غير مسبوقة.

على وضع أمريكا في المنطقة:

- انكفاء المشروع الأمريكي في المنطقة نتيجة الهزيمة المذلة.

- تضرر العلاقة بين الدول العربية وتركيا مع أمريكا.

- انعدام الثقة دولياً بقدرة أمريكا على تحقيق الاستقرار في المنطقة والعالم.

- بروز أقطاب دولية تستغل الهزيمة الأمريكية لإبراز مكانتها في النظام الدولي من جديد مثل روسيا والصين.

- أفول نجم الاتحاد الأوروبي سياسياً وعسكرياً؛ بسبب هزيمة القاطرة الأمريكية التي تدفعه.

- عدم ثقة حلفاء أمريكا الذين يحظون بتغطيتها «ككوريا الجنوبية- اليابان- دول الخليج...» بقدرة أمريكا العسكرية على ردع أي عدو أو السيطرة عليه عسكرياً.

٣- انعكاسات سيناريو الانسحاب المبرمج والتدريجي:

على العراق:

- غير واضح المعالم فيما يتعلق بالمستقبل السياسي للعراق، ويعتمد على رد فعل القوى المختلفة من المقاومة والقوى السياسية والشعبية والحكومية وكوادرها.

٤- انعكاسات سيناريو الانقلاب العسكري:

على العراق:

- الحفاظ على عراق موحد.

- إعادة دوره السياسي كسد لمشاريع الأطماع التوسعية الإيرانية، خاصة في ظل وجود رئيس ذي توجه وطني- قومي «إسلامي».

- فرض إنهاء الاحتلال الأمريكي إذا كان لم يحصل بعدُ عبر معاهدة أو عبر مفاوضات.

- القضاء على جميع الميليشيات وإنهاء الفوضى، وفرض الأمن والاستقرار.

- إنهاء النفوذ الإيراني المباشر في العراق.

على المنطقة:

- ارتياح عربي لمستقبل العراق.

- دور أكبر للعرب في تحجيم «الانتفاخ» الإيراني الحاصل.

- ارتياح تركي لاستقرار العراق، ومنع انقسامه، وما ينتج عن ذلك من مخاوف تجاه كردستان مستقلة.

- تراجع نفوذ إيران على عدد من المستويات إقليمياً.

على مستقبل أمريكا في المنطقة:

١- تقويض سمعة أمريكا تجاه قضايا الديمقراطية والانفتاح، وال فشل في بناء عراق ديمقراطي.

٢- هزيمة وليس «فشل» المشروع الأمريكي في العراق، وبالتالي محاولة تعويض ذلك في جبهات أخرى، أو أخذ العبر والدروس، وانكفاء أمريكا إلى استراتيجيات أخرى أقل وطأة.

٣- إمكانية تراجع النفوذ الأمريكي في المنطقة على المستوى البعيد، خاصة عندما يستعيد العراق عافيته وقوته.

٥- انعكاسات سيناريو المحاصصة الطائفية والقومية:

على العراق:

- عراق هش ومتضارب الاتجاهات، ودائم الصراعات «أشبه باللبنة».

- تية في معرفة الانتماء والوجهة، وتعدد في الولاءات.

- مخترق من قبل الأنظمة والدول الأخرى، لاسيما إيران والولايات المتحدة.

على المنطقة:

١- حالة ترقب إقليمية دائمة لمنع تفجر العراق، والحفاظ الدائم على وحدته.

٢- خوف من مواجهة إيران حال تعالي في العراق.

على مستقبل أمريكا في المنطقة:

١- اعتبار ذلك إنجازاً على الصعيد السياسي، يتم التأسيس عليه لتأكيد النفوذ الأمريكي، والانتقال إلى ملفات أخرى إقليمية.

٢- بقاء حالة التوتر بخصوص إيران، مع قدرة أمريكية أكبر على التهديد والتنفيذ.

٣- متفلس أمريكي لاستعادة قدراتها العسكرية والسياسية والاقتصادية في العراق والمنطقة. وعلى هذا تقدّر الأموال التي تباع بها هذه الكميات بـ ٥ - ١٥ مليون دولار يومياً، في حالة احتساب سعر البرميل الواحد بخمسين دولاراً فقط!! مما يعني أن مليارات الدولارات قد دخلت جيوب هؤلاء السُرّاق، على مدى أربعة أعوام ونيف من عمر الاحتلال.

ووفق كل هذا أدى الفساد الإداري، وقلة خبرة المتصدّرين لإدارة أموال العراق، وإقصاء المتخصصين بهذا الشأن، إلى ضياع مليارات الدولارات من أموال بلاد الرافدين، وفي العام الماضي وحده ضاع اثنا عشر مليار دولار من الأموال التي كانت مخصصة لإعمار العراق، حسب ما اعترف به الجنرال ستوارت بوين المفتش الأمريكي العام لشؤون إعمار العراق.^(٤٥)

التحديات وأخطرها صراع البقاء والوجود في إفريقيا جنوب الصحراء، والذي يعد أحد جوانب الصراع الحضاري بين المسلمين والغرب، الأمر الذي يقتضي استنفاغ الجهد والوسع لمواجهة بخطط مدروسة واستراتيجيات فاعلة.

(٤٥) وقد نقل التصريح عدد من وسائل الإعلام بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٣م.



معلومات إضافية

التكلفة المالية الحقيقية للحرب الأمريكية على العراق:

بحسب الدراسة المشتركة التي أجراها الدكتور «جوزيف ستيفليتز» والبروفيسورة «ليندا بيلمس» تحت عنوان «التكاليف الاقتصادية لحرب العراق»، فإن التكلفة الحقيقية للحرب على العراق تتراوح بين ٧٥٠ مليار دولار و١,٢ تريليون دولار (العام ٢٠٠٦م)، وحوالي أكثر من تريليوني دولار إذا بقي الاحتلال للعام ٢٠٠٨م وما بعده؛ استناداً للمعيار المعتمد والحسابات الحذرة والمعتدلة والمتحفظة.

واستناداً إلى الدراسة، فإن كلفة الحرب الحقيقية لا تتحدد بالإنفاق العسكري المباشر فقط، بل تشمل الإنفاق غير المباشر أيضاً، والإنفاق المرتبط بنتائج العمل العسكري الحالي والمستقبلي، وعلى علاج الجنود الجرحى وخسائر الأسلحة والمركبات والمعدات والفوائد على الحصص المالية المقطعة للحرب.

أما عن الفرق الشاسع والكبير بين الأرقام الأولية للحكومة الأمريكية عن تكاليف الحرب على العراق والأرقام التقديرية وفقاً للدراسة؛ فإن ذلك يعود وفقاً لـ«جوزيف ستيفليتز» لعدد من العناصر منها:

أولاً: التستر الحكومي على العدد الضخم من القتلى السابقين الذين يعودون مثخنين بجراح بليغة من الحرب في العراق، والذين بلغ عددهم ١٦ ألفاً حتى الآن، ٢٠٪ منهم تقريباً يعانون من أمراض عقلية وإصابات في الرأس تحتاج إلى علاج مكلف؛ فكلفة علاج ورعاية الجنود بعد الحرب ستصل إلى ٣٥٠ مليار دولار باعتبار أن كل قتيل أمريكي في حرب العراق يقابله ١٦ جريحاً بين الجنود مقارنة مع ٢,٦ جندي جريح في فيتنام و٢,٨ جندي في كوريا.

ثانياً: عدم إدراج الحكومة للنفقات الخاصة المتعلقة بزيادة المكافآت بشكل كبير لحالات إعادة التطوع في الجيش، وتحسين القروض، وزيادة نفقات التجنيد (حتى ٢٠٪ فقط بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٥م)، والتي اعتمدها الحكومة الأمريكية نتيجة لمواجهتها مشكلة متعاضمة في التجنيد وتلافياً لخوضها مشكلة التجنيد والاحتجاز العسكري لمن يرفض الخدمة. وتبلغ هذه النفقات التي لا تشمل الفوائد ما بين ٦٥٢ مليار دولار -وفقاً للحسابات المتحفظة- و٧٩٩ مليار دولار -وفقاً للحسابات المعتدلة-.

ثالثاً: عدم إدراج التعويضات عن حالات الوفاة والتي تصل إلى ٥٠٠ ألف دولار، وذلك أقل بكثير من الحسابات الاعتيادية للنفقة الاقتصادية لمدى الحياة، والتي يشار إليها أحياناً كمعادل للقيمة الإحصائية للحياة عموماً، والتي تقدر من ١,٦ إلى ٥,٦ ملايين دولار.

رابعاً: عدم احتساب الخسائر العسكرية المادية المباشرة ضمن تكاليف الحرب كفقدان وخسارة المعدات والتجهيزات العسكرية والآليات التي تتراوح بين فقدان كلي يحتاج إلى تعويض واستبدال، وبين فقدان جزئي يحتاج إلى إصلاح.



خامساً: عدم احتساب الفوائد المالية المترتبة على النفقات الخاصة غير المدرجة، والتي تتراوح بين ٩٨ مليار دولار- بتقدير متحفّظ- و٣٨٤ مليار دولار- بتقدير معتدل-.

وقد أصدرت خدمة أبحاث الكونجرس الأمريكي «SRC» تقريراً في أواخر آذار ذكرت فيه وفقاً لما نقلته «يوبي أي» أنّ حرب العراق بلغت كلفتها الشهرية ٤,٧ مليارات دولار. واستناداً إلى التقرير، فإنّ الأرقام المتعلقة بالحرب على الإرهاب، والعراق، وأفغانستان مستمرة في الارتفاع؛ حيث طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش تمويلات إضافية للعام ٢٠٠٧م، تبلغ قيمتها ٤,٤٩ مليارات دولار، و١٤١ ملياراً أخرى لسنة ٢٠٠٨م لتمويل الحرب. وبحسب التقرير، فإنّ كلفة هذه الحرب ستصل إلى ٢٥٧ مليار دولار بحلول منتصف عام ٢٠٠٨م.

ورأى التقرير أنه في حال استمرت الحرب لعشر سنوات أخرى؛ فإنّ التمويلات الإضافية التي من المحتمل أن يقرها الكونجرس، يرجّح أن تزيد الكلفة بقيمة ١٤٠ مليار دولار في حال خفض عدد الجنود إلى ٣٠ ألفاً، أمّا إذا استمرت الحرب عشر سنوات مع خفض القوات إلى ٧٠ ألف، بحلول عام ٢٠١٣م فذلك سيعني ٩١٩ مليار دولار إضافياً، وهو ما سيرفع كلفة الحرب (المباشرة) إلى ٤,١ تريليونات دولار.

المصدر:

علي حسين باكير، التكلفة المالية الحقيقية للحرب الأمريكية على العراق، مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٤٥٧١، بتاريخ

٢٠٠٧/٦/٢م. (باختصار)

من ملامح انهيار الجيش الأمريكي في العراق:

انهيار استراتيجية التجنيد:

تفيد التقارير بأن الجيش الأمريكي -القائم على نظام التطوع منذ العام ١٩٧٣- يعاني قصوراً بنسبة ٤٠٪ عن تحقيق هدفه من التجنيد.

أسباب عدم القدرة على هذه التعبئة:

- ١- حجم الخسائر المادية والبشرية الكبيرة في الجيش الأمريكي في العراق.
- ٢- الهزيمة النفسية التي تنتشر بين المجندين الأمريكيين، بعد أن كانوا يظنون أن جيشهم يقوم بنزهة في بلدان العالم الثالث.
- ٣- عدم الإيمان بعدالة القضية.

كما تواجه القوات المسلحة مشكلات في الاحتفاظ بجنودها؛ إذ إن نحو ٣٠٪ من المجندين الجدد يتركون الخدمة خلال ستة أشهر، وبعض هؤلاء يتركون الخدمة على الأقل بسبب الهوة الواسعة بين الخبرات اليومية للشباب قبل التجنيد وبعد الانخراط في حياة المجند أثناء التدريب.



واعترف البنتاغون بأن أكثر من ٥٥٠٠ جندي فروا من الخدمة منذ بداية حرب العراق.

انتشار الأمراض الصحية والنفسية:

تعد الأمراض النفسية والصحية التي تصيب الجنود إحدى أهم المشاكل التي يعاني منها الجيش الأمريكي.

وقد أكد تقرير صدر مؤخراً أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) بات يساورها القلق من الحالة النفسية للجنود العائدين من العراق؛ بسبب ما لحقهم من إصابات غير مرئية، خاصة تلك المتعلقة بما يسمى بمرض «اضطرابات ما بعد صدمة الضغوط» ويدعى (sssert citamuar ptso).

وأشار التقرير أيضاً إلى أن أكثر من ١٠ آلاف جندي أمريكي عادوا من العراق طلبوا المساعدة الطبية؛ حتى يتمكنوا من الاندماج من جديد في المجتمع بسبب شعورهم بصعوبة مخالطة الناس دون خوف، وإحساسهم بأنهم سيتعرضون لتهديدٍ ما.

ويشير معهد دراسات السياسة الأمريكية في تقرير له نشر يوم ١٣/٨/٢٠٠٥م عن تكاليف الحرب الأمريكية على العراق، وعن موضوع انسحاب القوات الأمريكية، إلى تدني الحالة النفسية للجيش وانخفاض الروح المعنوية للقوات، خاصة بعد قرارات منع مغادرة الجنود من العراق.

انتشار الدعارة في صفوف الجيش:

عادت فضائح الجيش الأمريكي إلى الظهور على السطح مجدداً، فبعد فضائح انتشار الشواذ في جيش الحرية الأمريكي، ومن ثم فضائح أبو غريب وغوانتانامو وسجون أفغانستان، تفشت هذه المرة ظاهرة «الدعارة في صفوف الجيش».

وكان البنتاغون قد أعلن مؤخراً أن الجيش الأمريكي تلقى في العام الأخير تقارير بوقوع ٨٨ حادث اعتداء جنسي في منطقة القيادة المركزية الأمريكية التي تشمل العراق والكويت، فضلاً عن القرن الإفريقي ومنطقة الخليج وآسيا الوسطى بما في ذلك أفغانستان.

وأوضحت أن الاعتداءات الجنسية تشمل الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب أو اللواط، علماً بأن النساء يمثلن نحو ١٠٪ من بين نحو ١١٠ آلاف جندي أمريكي موجودين الآن في العراق.

المصدر:

علي حسين باكير، معالم انهيار الجيش الأمريكي في العراق، موقع الجزيرة، نت، ١٧/٥/٢٠٠٦م.



